ومن ذلك غرض التوسع الاستعماري.

في انكلترا، أخذت فكرة تجميع اليهود في فلسطين أبعاداً واسعة. يقال، إن الأدبيات الانكليزية ـ الصهيونية ترجع الى أيام كروميل. لكن حتى لو وجدت حينذاك، لم يكن ذلك سوى بدايات. أما في القرن التاسع عشر، فقد وجدت فكرة استعمار فلسطين بواسطة اليهود أرضاً خصبة لدى الكثير من السياسيين البريطانيين. لقد ادخلتها السياسة الانكليزية، حوالى منتصف القرن التاسع عشر، في معادلة التوازنات الدولية في الشرقين الأدنى والاوسط.

ربما كان بالمرستون (١٧٨٤ ـ ١٨٦٥)، رجل الدولة البريطاني المعروف بشوفينيته، وفظاظة تعامله مع الآخرين في السياسة الخارجية، والقائل بعدم وجود تحالفات دائمة، بل مصالح دائمة، أبرز الذين وضعوا فكرة الاستعمار اليهودي لفلسطين في مخططات السياسة الاستعمارية البريطانية. كان بالمرستون يرى في فرنسا وروسيا الطرفين اللذين يهددان المصالح البريطانية. الأولى لديها في مصر محميها محمد علي باشا، الذي قويت شوكته، حتى أصبح يهدد الامبراطورية العثمانية؛ وروسيا القيصرية نالت الحظوة في القسطنطينية، في العقد الرابع من القرن التاسع عشر، بأن انقذت السلطان العثماني من محمد علي باشا.

خاف بالمرستون، في اطار تلك الظروف، من أن يقتسم القيصر ومحمد علي (ومن خلفه فرنسا) الامبراطورية العثمانية. لذا كانت مناوراته السياسية واطروحاته مركزة على عزل فرنسا، وعلى حصر محمد علي في مصر، وقد اكسبه ذلك، في العام ١٨٤٠، نصراً سياسياً وبرلمانياً في بلاده.

في هذا المنظور للأمور يكون الوجود البريطاني في فلسطين، من خلال الاستعمار اليهودي لها، مفيداً من عدة وجوه، لأنه يحول دون تحقيق الأطماع «الاخرى»، ويحمي طريق الهند، ويكون بمثابة رأس جسر للنفوذ البريطاني في المنطقة.

كانت العقبة في ذلك هي اقناع اليهود. لذا عملت السياسة البريطانية في هذا الاتجاه.

لعل أول رواية «صهيونية»، أي أول رواية تدعو اليهود الى «العودة» الى فلسطين، كتبتها في العام ١٨٧٦ الأديبة الانكليزية ماري آن ايفانز، التي كانت تكتب باسمها الأدبي: جورج أليوت.

عنوان الرواية دانيال ديروندا Daniel Deronda ، وتدور حول فتاة يهودية فقيرة اسمها، ميرا كوهين، تتزوج بدانيال الذي اكتشف أنه يهودي، ورحل الى فلسطين، ليبني وطناً لأمته.

ماري ليست صهيونية بآرائها السياسية، ولا داعية لذلك. وروايتها ليست، على الأغلب، سوى صدى عفوي لجو سياسي كان يجري تشجيعه.

كانت توجد اهداف أخرى للسياسة البريطانية خلف التحريض الصهيوني لليهود، تتركز في النفوذ، عن طريق ذلك، لدى الطوائف اليهودية في أوروبا الشرقية، والاستفادة من مختلف تحركاتها الدينية والسياسية.

ربما وجد الاغنياء اليهود الأوروبيون ـ الغربيون، في البداية، أن النشاط الصهيوني يؤلف مشاريع استثمار مربحة. ولذا تم، بتشجيع البريطانيين غالباً، في العام ١٨٦٠، تنظيم «الاتحاد الاسرائيلي العالمي» في باريس. لكن كانت المستعمرات الأولى غير مشجعة على صعيد الربح، لذا كان من الضروري التحريض على صياغة الاستعمار اليهودي لفلسطين، كهدف